﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

دعـوةُ العقول السّليمة لتدبُّر حـقـيـقـة أنَّ القرآن مُعجِزٌ

لمّا وُصف الكتابُ بما يدلُّ على الشّرف الذّاتيّ عُقِّب ذلك بما يدلّ على الشَّرف الإضافيّ فقيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[1]، فلمّا نزَّله الله كتابًا عربيًّا مؤلَّفًا من هذه الأحرف العربيّة المعروفة ليُدرك كلّ ناظر أنَّ الّذي يؤلِّفُ من الحروف العربيّة هذا الكتابَ المعجزَ لا يمكنُ أن يكون بشرًا، بل هو وحيٌ، والعقلُ هنا مدعوٌّ لتدبُّر هذه الظّاهرةِ ودلالتَها القاهرة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَرَبِيّٗا﴾: من عَرُبَ يَعْرُبُ، وأصل (عَرُبَ) يدلُّ على الإبانةِ والإفصاح، يُقال: أعْرَبَ الرّجل عن نفسه إذا بَيَّنَ وأوْضَحَ، والأمّة الّتي تُسمّى العَرَب، لأنّ لسانها أعْرَبُ الألْسِنَةِ، وبَيانَها أجْودُ البَيانِ[2]، والعَرَبُ: وُلْدُ إسماعيلَ، والعَرَبِيُّ: المُفصح، والإعْرابُ: البيانُ، وإعْرابُ الكلام: إيضاح فصاحته، وإعرابُ الكلام أيضًا من هذا القياس؛ لأنَّ بالإعراب يُفرَق بين المعاني في الفاعل والمفعول والنَّفي والتّعجُّب والاستفهام، وسائر أبواب هذا النَّحو من العلم. والعَرَبيُّ: الفصيح البيّن من الكلام[3]. ومعنى قرآنًا عربيًا: أيْ: بلسان العرب ولُغتهم الّتي هي أفصحُ اللّغات وأبينُها وأوسعها[4].

2) ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: العَقْلُ: نَقيضُ الجَهْلِ، يُقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، إذا عَرَفَ ما كان يجهله قبل، أو انْزَجَرَ عمّا كان يفعله، ورجلٌ عَقُولٌ،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/250.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عرب).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (عرب).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/562، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/315.

إذا كان حَسَنَ الفَهْم وافِرَ العَقْلِ[1]، والعَقْلُ: الحِجْر والنُّهى، ضِدُّ الحُمْق، والعاقِلُ الَّذي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها، والمَعْقُول: ما تَعْقِله بِقَلْبِكَ، والعَقْلُ: القَلْبُ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا؛ لأنه يَعْقِل صاحبَه عَنِ التَّوَرُّط في المَهالِك؛ أيْ: يَحْبِسه[2]، والعَقْل: القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويُقال للّذي يَسْتَنبِطُه الإنسانُ بتلكَ القوّةِ: عَقْلٌ[3]، أو هُو: العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها[4].

والمُراد بـ ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في الآية: تعلمون معانيَهُ، وتُحيطون بها وتفهمون ما فيه، أو تستعملون فيه عقولكم، فتعلمون أنَّ اقتصاصه كذلك ممّن لم يتعلّم القصص معجز لا يمكن إلّا بالإيحاء[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر الله تعالى بأنَّه أنزل هذا الكتاب المبينَ باللّسان العربيّ، أشرفِ الألسنة وأبينِها؛ قرآنًا عربيًّا يقرأ بلغتكم يا معشرَ العرب ويُبيّنُ لكم كلَّ شيءٍ، ويجمعُ لكم كلَّ خيرٍ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ظاهرٍ، رجاءَ أن تعقلوه وتفقهوا معانيَه وأغراضه[6].

القرآنُ الكريم مُبيِّنٌ لكلِّ ما يحتاج إليه النّاسُ من الحقائق النّافعة

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ الله ﷻ كان من تقديره في الأزلِ أن ينزل القرآنَ على البشريّة بلغةِ العرب؛ لبساطةِ تركيبها، وجمال أسلوبها، وسطوع كلماتها ذات الإيقاع البليغ الشّجيِّ المُستعذَبِ الغامرِ الّذي ينفُذ إلى صميم الفطرة وعميقِ الوجدان؛ فليس في سائر الكلام كلِّه ما يخاطِب في الإنسان إلّا جزءًا أو اثنين من تركيبه المتلاحم المعقَّد فما يكون تأثيره فيه إلّا محدودًا يسيرًا، لكنِ

(1) العين، الخليل، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عقل).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عقل).
(3) الرّاغب، المفردات: (عقل).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (عقل).
(5) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/473، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/154.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 15/551، وحجازيّ، التّفسير الواضح: 2/159.

القرآنُ يقرَعُ الجهازَ النّفسيَّ والرّوحيَّ والعقليَّ للإنسان مجتمعًا، وهذه ظاهرةٌ جليّة عجيبة تشهد على كون القرآن معجزًا لا يعارضه في العالمين أحدٌ، وهو إنّما تتجلّى فيه هذه الحقيقة لكونه من جنس هذه اللُّغةِ الكريمة المباركة، اللُّغةِ البالغةِ في جمالها وحُسنِها، وروعةِ جَرْسها وإيقاعِها، وحلاوة أنغامها النّديّة الشّجيّة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعةُ فصل الآية عن سابقتها:

إبـانـةُ الـقـرآن تامّةٌ في معانيه لكونه مقروءًا، وفي ألـفـاظـه لكونه عربيًّا

فَصَلَ القرآنُ جملة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ عن الجملة الّتي قبلها ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ولم يربطهما بعاطف؛ لِما بين الجملتيْن من كمالِ اتّصالٍ أو شبه كمال اتّصال، إذ إنّ الجملة الثّانية ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ جاءت مستأنَفةً تُفيد تعليل الإبانة من جهتيْ لفظه ومعناه؛ فإنّ كونه قرآنًا يدلُّ على إبانة المعاني؛ لأنّه ما جُعل مقروءًا إلّا لما في تراكيبه من المعاني المفيدة للقارئ، وكونه عربيًّا يفيد إبانة ألفاظه المعانيَ المقصودةَ للّذين خوطبوا به ابتداءً، وهم العرب[2]، وقد جاء هذا التّعليل ردًّا على تكذيبهم بإنزال القرآن[3].

نكتةُ المؤكّدات في مطلع الآية قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾:

أكّد ﷻ قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بعدّة مؤكّدات:

كـيـف لا يـكـونُ الـقـرآنُ في أعـلـى درجـاتِ العظمةِ والبيانِ ومُنزِّلُه هو الله سبحانه؟

الأوّل: التّوكيد بـ ﴿إِنَّآ﴾؛ وهو توكيد متوجّهٌ إلى خبرها، وهو فعلُ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ ردًّا على الّذين أنكروا أنْ يكون القرآنُ مُنزّلًا من عنْد الله[4]، أيْ أنَّ التّوكيد جاء مناسبًا لحال المخاطبين، وهم كفّار قريش؛ فإنّهم لمّا جحدوا إنزال القرآن من الله على النّبيّ ﷺ، وأنّه

(1) أمير عبد العزيز، التّفسير الشّامل: 3/23.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/201.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/6.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/201.

ﷺ شاعرٌ أو ساحرٌ اقتضى ذلك أنْ يكون الرّدُّ مفتتحًا لإزالة هذا الإنكار ونفيه.

الثّاني: التّوكيد بمجيء ﴿إِنَّآ﴾ بصيغة الجمع وكذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، أيْ أُسند الفعل والحرف قبله إلى (نا) الجماعة، وهو ضمير العظمة، رغم أنَّ المُنْزِل واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، ليشعر بعظمةِ الرّبوبيّة وعظمة المُنزَّل، وهو القرآن الكريم، ويفيد التّأكيد لإثبات المضمون، كأنّه يقول: إنّا بعظمتنا أنزلناه بعظمتنا قرآنًا عربيًّا[1].

الثّالث: التّوكيد بتقديم المُسنَد إليه وهو المبتدأ ﴿إِنَّآ﴾ على المُسند الفعليّ وهو الخبر الّذي جاء بصيغة الفعل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ الّذي يُفيد التّحقيق والتّخصيص؛ لأنَّ أصل الكلام ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فقدّم الضّمير (نا)، وكرّره ضميرًا للفعل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ عائدًا على اسم إنّ؛ فصار المعنى حَصْرَ هذا الإنزال من اللّه لا من غيره، وأنّه محقّقٌ مؤكّد.

الرّابع: التّوكيد بالجملةِ الاسميّة الّتي تَدُلُّ على ثباتِ وقوّةِ إنزال القرآن.

الخامس: توكيد بيان ووضوح القرآن الكريم بالبدل، أو الحال في قوله: ﴿قُرْءَانًا﴾، وبالوصف في قوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾.

سرُّ التَّعبير بالنّزول بالماضي:

عبّر البيانُ القرآنيّ عن إنزالِ القرآن بصيغة الماضي ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، وهذا يَصدُق على ما أنزله اللّه على رسوله ﷺ فعلًا، ولكنّ المقصود ما أنزله وما سيُنزله؛ لأنَّ القرآن نزل على قلبه ﷺ مُفرّقًا، ولكنَّ التَّعبير بالماضي عمّا سيُنزله يُفيد تحقّق الوقوع، وكأنّه وقع حتّى

نـــزولُ الـقـرآن مُبِينًا في ألفاظِه ومـعـانـيـه أمـرٌ محـقّـقٌ لا شكَّ فيه

(1) هذه الإشارات وردت صريحةً في آياتٍ كثيرةٍ، منها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87]، وكلُّ الآيات الّتي ورد فيها ذِكْر الكتاب جاءت بضمير العَظَمة، مثل: [النّساء: 105]، [الأنعام: 92]، [النّحل: 44]، [الحجّ: 9]، وغير ذلك.

صحَّ أن يُخبر عنه أنّه قد حصل، أو أنْ يكون الكلامُ من باب الاكتفاء، والمعنى: إنّا أنزلناه وسنُنزله قرآنًا عربيًّا؛ لأنّ مَن أنزله وامتنّ بالإنزال سيُتابع هذا الإنزال.

عودُ الضّمير (الهاء) في: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾:

عظَمةُ القرآنِ وسورةِ يوسفَ وقصّتِه من عظمةِ المُنْزِلِ سبحانه

يعود الضّمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ إلى ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[1]؛ أيْ: إنّا أنزلنا الكتابَ المنعوت بما ذُكِرَ من النّعوتِ الجليلةِ، والكتابُ هنا: إمّا عبارةٌ عن الكلِّ، وهو الأظهر الأنسب لقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، ولكونه المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النّعت المتسارع إلى الفهم عند إطلاقه، وإمّا السّورة، وتسميتها قرآنًا؛ لأنّه اسمُ جنسٍ في الأصل، وهو يقعُ على الكلِّ والبعضِ كالكتاب، أو لأنَّه مصدرٌ بمعنى المفعول؛ أيْ: أنزلناه حالَ كونه مقروءًا بلُغتكم[2].

ويجوز أنْ يعود الضّمير إلى خبر يوسف عليه السلام؛ أيْ: أنزلنا خبَرَ يوسفَ وقِصتَهُ؛ لأنَّ اليهود سألوا عن خبره، إذ قال علماؤهم لِكُبَراءِ المُشْرِكين: سَلُوا مُحمّدًا لِمَ انتقل آلُ يعقوبَ من الشّام إلى مصر، وعن قصّة يُوسُفَ؛ فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، ودليل هذا قولُه ﷻ: ﴿۞لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[3].

بلاغةُ المتشابهِ اللّفظيّ في الآية:

التّعبيرُ بالإنزالِ في سياقِ تكذيبِ المشركين للنّبيّ ﷺ أنسبُ في الردّ عليهم

قال سبحانه في هذه السّورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقال في سورة الزّخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزّخرف: 3]؛ فعبّر هنا بـ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ وفي الزّخرف بـ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ [الزّخرف: 3]، ووجْهُ ذلك: أنّ آية يوسف لَمّا كانت توطئةً لذِكْر قصصه عليه السلام ممّا يُعرف بعجيب ما تضمّنته ما كان غيبًا عند

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/201.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/250.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن: 3/87.

قريش والعرب، مستوفيةً ما كان أهلُ الكتاب يظنّون أنّهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السّورة مُوفّيةً من ذلك أتمَّه، ومُعرِّفةً من قَصصه العجيب، ومؤدّيةً أكملَه وأعمَّه، لَمّا كانت كذلك لم تكن عبارةٌ أنسبَ هنا من ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ ليعلم العرب والجميع أنّ نبيِّنا مُحمّدًا ﷺ لم يتلقَّ ذلك القصص من أحدٍ من العرب، إذ لم يكن عندهم منه نبأ، ولا رَحَل في تعرُّفه إلى أحَدٍ؛ فالتَّعبير بالإنزال هنا بيّنٌ، "لأنّه في سياق تكذيبهم به بخلاف ما عبّر فيه بالجَعْل، كما يأتي في الزّخرف"[1]، الّتي لم تُبْنَ على أخبار، ولذلك عبّر فيها بـ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ [الزّخرف: 3][2].

الموضع الإعرابيُّ لقوله: ﴿قُرْءَانًا﴾ و﴿عَرَبِيًّا﴾:

إعـرابُ (قـرآنًـا) و(عربيًّا) يُعربُ عن تأكيدِ كمالِ إبـانـةِ ووضـوحِ القرآنِ الكريم

قوله: ﴿قُرْءَانًا﴾: إمّا بدلٌ من الضّمير (الهاء) في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والمعنى: إنّا أنزلنا الكتابَ القرآن عربيًّا، وفائدة البدل هنا توكيد المعنى، وهو إنزال الكتاب من عند الله لا كما يدّعي المشركون.

أو حالٌ من الهاء في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أيْ: كِتابًا يُقرأ؛ أيْ: مُنَظَّمًا على أسْلوبٍ مُعَدٍّ لأنْ يُقْرَأ لا كَأُسْلُوبِ الرَّسائِلِ والخُطبِ أو الأشعارِ، بلْ هو أُسْلوبُ كِتابٍ نافِعٍ نَفْعًا مُستمرًّا يَقرَأُهُ النّاسُ.

وجاءت الحال في الآية تؤكّد إبانة الكتاب المبين؛ لأنّه ما جُعل مقروءًا إلّا لِما في تراكيبه من المعاني المفيدة للقارئ.

و﴿عَرَبِيًّا﴾ صِفَةٌ لـ﴿قُرْءَانًا﴾، فهو كِتابٌ بالعربيّةِ ليس كالكتبِ السّالفةِ، فإنَّه لمْ يسبقهُ كِتابٌ بلُغةِ العرب[3]، وفي هذا الوصف تخصيصُ إبانة ألفاظه المعانيَ المقصودةَ للّذين خوطبوا به ابتداءً، وهم العرب، وتوكيدٌ لإبانَتِه إذْ أصل (عرب) يدلُّ على الإبانة

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/6.
(2) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/266 - 267.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/201.

والإفصاح، وإعْرابُ الكلام: إيضاح فصاحته، والعَرَبيُّ: الفصيح البيّن من الكلام[1].

فائدةُ العدولِ في ﴿قُرْءَانًا﴾:

عَدَلَ البيانُ القرآنيُّ عن التَّعبير بالكتاب إلى القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أيْ: لم يَقُل: (إنا أنزلناه كتابًا عربيًّا)؛ لأنّه سَبَقَ ذكر الوصف بالكتاب في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، والتأسيسُ مُقدّمٌ على التّأكيد، إذ في وصفهِ الكتابَ بالقرآن إضافةُ معنًى جديد، وهو أنّه كتابٌ مقروء؛ أيْ: جاء بأسلوبٍ مُعَدٍّ لأنْ يُقْرَأ، إضافةً إلى أنَّ في التَّعبير بالقرآن إشارةً إلى وجوب وأهميّة حفظ القرآن في الصّدور، وقد كان النّبيّ ﷺ يحضّ الصّحابة على ذلك، قال ﷺ: «مَن قرأ حرفًا من كتاب اللّه فلَهُ به حسنةٌ، والحسنةُ بعشْرِ أمثالها، لا أقولُ (الم) حرفٌ؛ ولكن (ألف) حرفٌ، و(لام) حرفٌ، و(ميم) حرفٌ»[2]، وهناك إشارةٌ إلى أنّ حفظ القرآن في الصّدور من خصائص هذا الكتاب ومن خصائص هذه الأمّة، قال الإمام ابن الجزريّ: "إنّ الاعتمادَ في نقل القرآن على حفظ القلوب والصّدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرفُ خصيصة من اللّه تعالى لهذه الأمة"[3]، وذلك تحقيقٌ للحديث القدسيّ: «إنّي مبتليكَ ومُبتلٍ بك، ومُنزّلٌ عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظانَ...»[4].

التأسيسُ مقدَّمٌ على التَّأكيدِ، فالكتابُ والقرآنُ من أعظم أسماءِ كتابِ الله

فائدةُ جملة في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾:

أفادت الجملة الخبريّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

الإخبارُ بنزولِ القرآنِ بلغةِ العربِ هو نصٌّ وإرشادٌ لهم وإقامةٌ للحجّة عليهم

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (عرب).
(2) الترمذي، سنن التّرمذيّ، باب: ما جاء فيمَن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، الحديث رقم: (2910)، 5/175.
(3) ابن الجزريّ، النشر: 1/6.
(4) صحيح مسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، الحديث رقم: (2865).

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعريفَ المخاطَبين - وهم العرب - بالحُكم الّذي تضمّنته، وهو أنّ الله أنزل عليهم قرآنًا عربيًّا؛ أيْ: بلسانهم ليعقلوه وليطّلعوا على أنّه خارجٌ عن طوْق البَشَر مُنزَّلٌ من عند خلّاق القُوى والقَدَر، وفي هذا نصحٌ وإرشادٌ لهم، وإقامةٌ للحُجّة عليهم.

كما أنّ هذا الجملة الخبريّة تدلُّ على أنَّ اللّسان العربيّ أفصح الألسنة وأبينها، وأوسعها وأقومها وأعدلها؛ لأنّ من المقرر أنّ القول - وإن خُصَّ بخطابه قومٌ - يكون عامًّا لِمَن سواهم[1]، فهو وحي الله إليهم مباشرةً وإلى العالمين بواسطتهم.

كما أنّها تردٌّ على مَن زعم أنّ في القرآن ما لا يُفقه، ولا يَفهم معناه لا الرّسول ولا المؤمنون؛ فإنّ هذا من المُنكر الّذي أنكره العلماء[2].

ومن الإشارات في هذه الجملة الخبريّة أنّ فهم القرآن وتفسيره لا يصحُّ دون الوقوف على مدلولات الألفاظ العربيّة ومعانيها عند العرب الّذين نزل عليهم القرآن، وأنّه يجب الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدلُّ عليه كلام العرب[3].

الموقع البيانيّ لقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

جاءتْ الفاصلةُ ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ بتمام اتّصالها بما قبلها من السّياق اتّصالًا مُحكَمًا؛ لتُظهرَ المعنى بكلِّ وضوح، فهي تعليليّةٌ لما سبَقها؛ أيْ: لتُفصحَ عن التّعليلِ المقصودِ، وهو تعليلُ الإبانةِ من جهتَي لفظِ القرآن ومعناه في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: رجاءَ حصول العلم لكم من لفظه ومعناه؛ لأنّكم عرب، فنزوله بلغتكم مشتملًا على ما فيه نفعكم هو سببٌ لتفهُّمكم ما يحتوي عليه من

نـزولُ الـقـرآنِ بـلـغـةِ الـعـرب يستلزمُ منهم أنْ يعقلوا ما يُراد منهم

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/6.
(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 16/411.
(3) الزّركشيّ، البرهان: 1/295، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/18.

الخير بكم[1]، فعليكم أن تتدبَّروا آياته وأحكامه، وتتوصَّلوا بذلك إلى تمام الإيمان به وتوحيده على الوجه الّذي طلَبه، ففصلَ الجملةَ عن سابقتها للاستئناف البيانيّ.

دلالةُ الإتيانِ بحرف الرَّجاء (لعلّ):

حالهُم يُومئ إلى أنَّ تَعَقُّلَهُم لمعاني القُرآنِ رغمَ إبانتِه التّامّة أمرٌ يتطرّقُه احتمالُ التَّخلّفِ

أتى البيانُ القرآنيُّ بحرف الرّجاء (لعَلَّ)، وعدل عن لام التَّعليل في قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فلم يَقُل: (لتعقلوا أو لكي تعقلوا)؛ لكون (لعَلَّ) تَرَجٍّ فيها معنى التّعليل، وتومئُ إلى أنّ تعقّلهم وتفهّمهم لمعانيه مع ذلك أمرٌ يتطرّقه احتمالُ التّخلّف، فذِكْرُ حرفِ الرّجاء دون حرف التّعليل من بديع البلاغة، إذ إنّ تفسير لعلّ بمعنى لكي يفوّت هذه الخصوصيّة[2]، والمعنى: "أيْ: لتكونوا على رجاءٍ من أنْ تكونوا من ذوي العقل، أو من أنْ تعقلوا ما يُراد منكم"[3]، "والرّجاء من النّاس لا من الله؛ أيْ: لعلكم تكونون في وضع مَن يرجو الإدراك السّليم، والله عليم بما تُخفي الصّدور"[4].

ويُشير الإتيان بحرف الرّجاء (لعلّ) في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إلى ضرورةِ العلم بمعاني الكتاب العزيز، واستنهاضِ همّة العقل ليُفكّر في الأمر، والمُنْصفُ بالحقّ يُهِمّه أنْ يستقبل النّاس ما يعرضُه عليهم بالعقل، عكْس المُدلّس الّذي يهمّه أنْ يسترَ العقل جانبًا؛ لينفُذَ من وراء العقل[5].

غرض التَّعبير بـ ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

الإعراضُ عن القرآنِ رغمَ إبانته التامَّةِ الكاملةِ لا يكونُ إلّا ممّنْ لا عقْلَ لَه

عبّر البيان القرآنيُّ عن العلم بالعقلِ في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ دلالةَ القرآن على هذا العلم قد بلغتْ في

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/202.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/501.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/6.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3796.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 11/6828.

الوضوح حَدَّ أنْ يُنزل مَن لم يحصل له العلمُ منها منزلةَ مَن لا عقْلَ له، وأنَّهُم ما داموا مُعرضينَ عنه فهُم في عِدادِ غيرِ العُقَلاءِ[1]؛ أيْ: الجاهلين الحمقى؛ لأنّ العقلَ نقيضُ الجهل والحُمْق.

وفي التَّعبير بمفردة العقل كذلك إشارةٌ إلى ضرورة أنْ يزجروا أنفسهم عن أقبح القبائح، وهي إنكارُهم لإعجاز القرآن المبين الّذي نزل بلغتهم، وإهلاكُ أنفسهم بذلك؛ لأنّ العقل في اللُّغة هو الّذي يزجر ويمنع صاحبه عن القبائح، والتّورط في المهالك[2]، وعَقَلَ إذا عَرَفَ ما كان يجهله قبل، أو انْزَجَرَ عمّا كان يفعله.

وأمّا بناؤها الصّرفيّ: فهو من عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، وقد جرى القرآن على مغايرة الصّيغ لتغاير المعاني؛ ذلك بأنّ الأبنية الصّرفيّة في اللُّغة العربيّة تتمتّع بمعانٍ خاصّة، فاستعمال القرآن صيغة الفعل المضارع ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في سياق الخبر يفيد الحدوث التجدّديّ، أيْ إنّ رجاء حصول التّعقّل منهم لِما في كتاب اللّه أمرٌ متجدّد.

بلاغةُ حذف مفعول ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

حذَفَ البيانُ الإلهيُّ مفعولَ ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لقصد العموم، أيْ للإشارة إلى أنّ إنزاله كذلك هو سببٌ لحصول تعقّلٍ لأشياء كثيرةٍ من العلوم؛ من إعجازٍ وغيره[3].

إنـــزالُ الـقـرآنِ سببٌ للوقوفِ عـلـى عـلـومٍ لا تَنْقضي

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(تَعْقِلُونَ) و(تَعْلَمُونَ) و(تَفْقَهُونَ):

تتقارب هذه الألفاظ في دلالاتها فجميعها تدلُّ على المعرفة وأنّها نقيض الجهل، ويظهر ذلك من خلال الرّجوع إلى معانيها اللُّغويّة:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/202.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عقل).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/202.

العقلُ هو القوّةُ المتهيّئةُ لقَبول العلم، والعلمُ اعتقادٌ مطابقٌ للواقع، والفِقهُ أخصُّ من العلم

(تَعْقِلُونَ): العَقْلُ: نَقيضُ الجَهْلِ، يُقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، إذا عَرَفَ ما كان يجهله قبل، أو انْزَجَرَ عمّا كان يفعله، ورجلٌ عَقُولٌ، إذا كان حَسَنَ الفَهْم وافِرَ العَقْلِ[1]، والعَقْلُ: الحِجْر والنُّهى؛ ضِدُّ الحُمْق، والعاقِلُ الَّذي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها، والمَعْقُول: ما تَعْقِله بِقَلْبِكَ، والعَقْلُ: القَلْبُ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا؛ لأنه يَعْقِل صاحبَه عَنِ التَّوَرُّط في المَهالِك؛ أي: يَحْبِسه[2]، والعَقْل: القوّة المُتهيّئة لقبول العلم، ويُقال للّذي يَسْتَنبِطُه الإنسانُ بتلكَ القوّةِ: عَقْلٌ[3]، أو هُو العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها[4].

(تَعْلَمُونَ): العِلْمُ: نقيض الجهل، والعِلْمُ: اليقين، يُقال: عَلِمَ يعلم إذا تيقّن، وجاء بمعنى المعرفة أيضًا[5]، عَلِمَه: عَرفَه حقّ المعرفة، والعِلْمُ: الاعتقاد الجازم الثّابت المُطابق للواقع[6]، والعِلْمُ: إدراك الشّيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشّيء، والثّاني: الحُكم على الشّيء بوجود شيءٍ هو موجود له، أو نفيُ شيءٍ هو منفيٌّ عنه[7].

(تَفْقَهُونَ) أصل (فَقِهَ) يدلُّ على إدراك الشّيء والعلم به، ثمّ اختُصَّ بذلك علمُ الشّريعةِ؛ فقيلَ لكلِّ عالمٍ بالحلالِ والحرام: فقيهٌ[8]، والفقهُ: العلمُ بالشّيءِ والفهمُ له، والفطنةُ، ورجلٌ فقيه: عالِم، وكلُّ عالمٍ بشيءٍ فهو فقيه[9]، وفسَّره الرّاغب: بالتَّوصُّلِ إلى

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عقل).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عقل).
(3) الرّاغب، المفردات: (عقل).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (عقل).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (علم).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (علم).
(7) الرّاغب، المفردات: (علم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فقه).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس، وابن منظور، لسان العرب: (فقه).

علمٍ غائبٍ بعلمٍ شاهدٍ، فهو أخصُّ من العلم[1]، فالفقهُ بالشّيء: معرفةُ الوصولِ إلى أعماقهِ وفهمه فهمًا عميقًا مُستوعِبًا؛ كأنّما غاص في داخله فأدرك دقائقه وخفاياه[2].

ورغم تقارب هذه الألفاظ في معانيها إلّا أنّه يوجد ما يُميّز كلّ لفظٍ عن الآخر، وذلك على النّحو الآتي:

العقل: هو الّذي يزجر صاحبه عن القبائح، وكلُّ مَن كان زاجرُه أقوى كان أعقل، وقال بَعضهم: العقل يمْنَع صاحبه عن الوقوع في القَبِيح، والعقل: الحِفظ، إذ يُفيد معنى الحَصْر والحَبْس، وخلافُ العقل: الحُمق[3]، والعَقْل: القوّة المُتهيِّئة لقبول العلم، فلا بدّ للعلم من وجود العقل.

العلم: هو إدراك الشّيء بحقيقته، فهو اعتقادٌ جازم مطابق للواقع[4].

والفقه: أخصُّ من العلم، إذ فيه معنى الفطنة إضافةً إلى العِلْم، فالفقيه يصل إلى أعماق الأشياء ويفهمها ويعلم دقائقها وخفاياها، فمَن لا يعرفُ من الأمورِ إلّا ظواهرَها لا يُسمّى فقيهًا، وقد استعمل القرآنُ الفقه في مواضعَ كثيرةٍ بمعنى دقّة الفهم والتعمُّقِ في العلم ليترتّب عليه أثرهُ، وهو الانتفاعُ به.

(1) الرّاغب، المفردات: (فقه).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فقه).
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 83.
(4) الفِيروزباديّ، بصائر ذوي التّمييز: 2/125.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»